أفق مفتوح

تهدئة .. وتهنئة ..

ناهض منير الريس

نحن في قطاع غزة مبتهجون للتهدئة التي جرى الاتفاق عليها . ونريد أن نستثمر فرصتها إلى الحد الأقصى لكي نكون جاهزين لمثلها إذا تكرر الحصار المطبق ! أي أن سوء الظن جزء لا يتجزأ من التوقعات . ونحن وإن صمدنا وحافظنا على ثباتنا ولم نصبح خنجرا يبرز في ظهر المقاومة كما توقع الخائرون ، فالحق أننا جميعا تمنينا الانفراج والتهدئة ولو إلى حين . ولم يسبق للشعب العربي الفلسطيني أن عانى ضيقا كهذا الضيق ولا ضغوطا في فظاعة هذه الضغوط .

العدو يعلم ذلك طبعا . وقد استخدم الحصار والعزل والمقاطعة من أجل تلك الغاية ولمدة امتدت إلى سنة كاملة . ولكنه لم يفز بطائل ، ولا نال المراد. فالحمد لله أن خاب فأله وباءت بالفشل جهوده .

ووراء هذا النجاح الذي تحقق لنا ، والخيبة التي لحقت بعدونا ، سبب واضح وضوح الشمس هو ثبات المجتمع العربي الفلسطيني في قطاع غزة على الحق وعلى مواجهة العنف الصهيوني بما تستطيعه اليد الفلسطينية من دفاع ، وهو من ناحية أخرى إباء هذا الشعب أن يجعل للقمة عيشه نفسها أولوية على موقف الثبات الأصيل المتأصل منذ نكبة فلسطين بل منذ وعد بلفور .

ومع موقف الثبات هذا كان هناك سبب آخر واضح بدوره ، يتعلق بإرادة الناخبين الفلسطينيين الذين انتخبوا المجلس التشريعي والحكومة .. إذ حسب الذين أوجعتهم نتيجة تلك الانتخابات وهدمت مشاريع السلب والنهب التي كانوا يمارسونها أن بوسعهم أن ينقلبوا على تلك النتيجة عن طريق

محاصرة السلطة الوليدة وتكبيد الشعب الذي انتخبها خسائر في الأموال والأرواح ولقمة الخبز لكي يضج ويثور ويخرج عن طوره .

لقد هوجمت الإرادة الشعبية الحرة التي انتخبت هذا المجلس هجوما ضاريا . وتعرضت لأكذب حملة إعلامية مخططة موجهة مدبرة متعددة الأطراف : الأمريكان والإسرائيليون قلب هجومها ، والأنظمة الأجيرة على الميمنة وعلى الميسرة ، والطابور الخامس الداخلي من الخلف . وقد أرادوا أن يشككوا الناس في اختيارهم وأن يحملوهم على الندم لما أودعوه في صناديق الاقتراع . ولم يدركوا أن هذا الشعب عنيد وصاحب تجربة وأنه طوال عهود الصراع منذ حوالي مئة سنة مصمم على حقه وموقفه ومضطر إلى منازلة أعداء يفوقونه قوة وثراء وعدة وعتادا .

فصمود الفلسطينيين في قطاع غزة يرجع أولا وقبل كل شيء إلى إصرارهم على الدفاع عن إرادتهم واختيارهم وإحساسهم الباطن أن الجبهة المؤتلفة ضد تلك الإرادة تمثل العدوان الدائم على الفلسطينيين وآمالهم وتطلعاتهم وشرفهم وأن أطرافها الفلسطينيين والعرب يرتكبون عار الانحياز إلى جلادهم وناهب بلادهم . أما الشعب في قطاع غزة فكان يفهم في ضميره ووجدانه العميق ويقدر عذر المجلس والحكومة المنتخبين لأن قوى المؤامرة لم تسمح لهما بتولي المسؤولية المنوطة بهما . أضف إلى ذلك أن نجاح قوات المقاومة في تحقيق قدر من قوة الردع التي اضطر الإسرائيليون أن يحسبوا لها حسابا ، لا سيما بعد صاروخ السوبر ماركت في عسقلان ، قد هون على الناس الخسائر الجسيمة في الأرواح والأموال والممتلكات .

وأخيرا لا آخرا فربما يكون من العوامل المساعدة على هذا الصمود أن قطاع غزة فقير ومحروم معظم الوقت . أي أن الناس معتادون على الشظف وقلة ما في اليد . وحتى في الزمن الذي كان العمل داخل الخط

الأخضر يزودهم نسبيا بسيولة نقدية ، كان الاحتلال يعمد إلى إغلاقات تضع العمال في بطالة تستنزف ما جمعوه قبلا وتأكل شيئا من اللحم الحي .

الصبر والجلد والإيمان والاعتداد بالإرادة والاعتماد على الإمكانيات البسيطة وتحقيق ردع نسبي .. تلك هي نقاط القوة التي أمكن إقرار التهدئة بفضلها .

ونحن نستحق التهنئة على أننا انتزعنا التهدئة ولم نتسولها ولم نؤمن يوما بسياسة التسول ولا بأنها تؤدي إلى شيء ولا بأنها جديرة بشعب مثل شعبنا .

فلا ينعقد اتفاق دولي . مهما كان نوعه . إلا بناء على وجود نقاط قوة لدى كل من أطراف الاتفاق . والإسرائيليون هم أصحاب النقاط الأقوى ولكن نمورنا الصغيرة لم تخل من عناصر قوة رغم السكين التي تحاول اصطياد رقابها كل حين ، ولم تعجز تلك النمور عن (الخرمشة) بأظفارها في أماكن حساسة من جسد العدو ومن معنويات العدو ، دون أن يتمكن العدو من تقليم أظفارها . ولقد كسبنا معركة التهدئة لأننا لم نكن شحاذين نتسول الرحمة من عدونا ولكننا كنا نمورا ذات أظفار .

إذا كان عدوك قد نازعك على وجودك فوق أرضك .. وإذا كان غيابك يعني حضوره .. وموتك يعني ضمان حياته .. فلماذا يتصدق عليك ؟ وكلما تذكرنا هذا وراجعنا أنفسنا في تاريخ صراعنا معه منذ جاءنا من أصقاع الأرض بقصد اغتصاب أرضنا ، ثم كمن لنا في زاوية معتمة من زوايا التاريخ وانهال علينا بأسلحته وعتاده المجهزة منذ البداية ، ازددنا عجبا من أننا توهمنا ذات حين أن علينا أن نسترد ما لنا عن طريق مفاوضات نرفع عقيرتنا قبلها بأغاريد السلام مقدما ونجلس حول طاولاتها كبقر الجنة

لا نشطح ولا ننطح ، بل ونتوقع أن تهبط على العدو حالة مفاجئة من التعقل والرحمة والإنسانية ويقول لنا : تفضلوا يا جماعة .. هذه بضاعتكم ردت إليكم !

لا .. لا .. إن هذا المدخل إلى المفاوضات مدخل الأبقار التي لن تجد في نهاية طريقها عبر المحافل الدولية إلا السكاكين .

ولكن .. إلى أي مدى قد تطول هذه التهدئة ؟

كل ما يفهمه المرء هو أننا من الزاوية الفلسطينية سنحافظ عليها ونلتزم بها . وأننا لسنا متعجلين للعودة إلى الاشتباك .

فصراعنا مع الإسرائيليين طويل . ليس بإرادتنا ولا بإرادتهم ! فلقد حشروا أنفسهم في منطقة تلفظهم . وجنوا جناية لا يمكن السكوت عليها ولا نسيانها . ووضعونا وإياهم في تناقض يستحيل حله إلا إذا آمن واحد منا بدعوى الآخر (أي أن نؤمن نحن بأن فلسطين التي أخرجونا منها بلادهم ، أو أن يؤمنوا هم بأنها بلادنا التي اغتصبوها .) وهذا مستحيل!

من هنا كانت قضية فلسطين وشعبها مختلفة عن جميع القضايا وحملت في حقيقتها وفي التجارب الناجمة عنها معنى تصادم الأقدار .

ونعرف أن الإسرائيليين اضطروا إلى التهدئة اضطرارا ووقعوا على شروطها كارهين . ونعرف أيضا أنهم في اللحظة التي وقعوا فيها كانوا يفكرون في كيفية تحرمنا من مزايا التهدئة وتنصب لنا كمائن جديدة على طريق المستقبل .

هناك مع ذلك حل واحد ينهي الصراع من أساسه وذلك هو قبول الإسرائيليين أن يندمجوا في كيان عربي واحد . وإذا كان الإسرائيليون قد قطعوا شوطا في التطبيع مع بعض العرب ، فليستخدموه لإقناع إخوتنا في الدول العربية المجاورة بقبول عودة اليهود العرب كل إلى البلد الذي أخرجته

الحركة الصهيونية منه . إن ذلك يظل حلا أفضل من أطماع الإسرائيليين في الوقت الحاضر في أن ينهبوا حصة كبيرة من رأس الكوم من أموال البلاد العربية التي خرج منها بالأمس سكانها اليهود بدعوى تعويضهم عن رحيلهم عن تلك البلاد . وقد عادت إسرائيل تكرر دعواها المطالبة بهذه التعويضات ، وتعقد مؤتمرا دوليا في لندن هذه الأيام لهذه الغاية ، من أجل تهيئة الأذهان لهذا النهب المنكر ، (بمناسبة ارتفاع أسعار البترول خاصة وتكدس البترودولار تحت أيدي البنوك الأمريكية وأصحابها اليهود الأمريكيين ، ليضاف ذلك إلى عملية النهب الأكبر عبر قرن من الزمان واستيلاء شركات البترول وأصحابها الأمريكيين المتصهينين واليهود الصهاينة على نفط المنطقة كلها) .

ملاحظة : هكذا استطرد الكاتب دون أن يشعر ، ودون أن يخطط لذلك في بداية المقال .. وانتقل من موضوع التهدئة وفلسطين إلى موضوع النفط والبترودولار والشركات .. وذلك برهان تلقائي وعفوي على ارتباط الأمور بعضها ببعض في هذه المنطقة ، وارتباط قضية فلسطين بقضية النفط العربي المنهوب .. !

باراك أوباما

استمعنا إلى التصريحات العدائية الوقحة التي أدلى بها المرشح الرئاسي الأمريكي باراك أوباما في ساحات سوق النخاسة السياسية الذي يعرض المرشحون الأمريكيون من خلاله أرواحهم وضمائرهم للبيع للسيد اليهودي الأمريكي المتربع على رأس المال والأعمال وأجهزة الإعلام وشبكات المعلومات في بلادهم : من خلال اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة . وكان الموسم قد فتح قبل أن تعقد (الإيباك) كبرى المنظمات اليهودية

مؤتمرها السنوي في واشنطن ووجدنا المرشحين الثلاثة يتسابقون منذ اجتماعات الدعاية الانتخابية الأولى على المزايدة في الإدلاء بالتصريحات التي تترامى على أحذية المنظمات اليهودية . وفي حين تستخذي هذا الاستخذاء كله أمام هؤلاء فإنها تبصق في وجوه العرب وحقوقهم وحكامهم وصفتهم البشرية نفسها . فلما عقدت الإيباك مؤتمرها قبل حوالي شهر انحدر عار النخب السياسية الأمريكية المعروضة للبيع إلى حضيض جديد وهبطوا في عملية مناقصة تتنافس أيهم أرخص ضميرا .

ونحن كنا على كل حال نرى ماكين الأسوأ ، باعتباره يسير على نهج بوش الأسوأ في تاريخ الرؤساء الأمريكيين . ولكننا وجدنا أوباما يقول مؤخرا إن إسرائيل تملك الحق في ضرب إيران وإنه يرى في ذلك دفاعا عن أمن إسرائيل .

لقد كنا ننظر إلى السباق الرئاسي المحموم وملابساته ودعاواه المؤذية للعرب والمسلمين بوصف هذا كله روتينا يتبعه جميع الرؤساء الأمريكيون من وقت مبكر بدأه هاري ترومان عندما قيل له على أعتاب معركته الانتخابية أن شدة انحيازه مع الحركة الصهيونية قد يضر موقفه مع العرب فقال الرخيص الأول في سجل الرخيصين : وأين هي الأصوات العربية في انتخابات الرئاسة الأمريكية ؟!

ولكن هذا الروتين القذر يتزايد يوما بعد يوم على نحو يجعلنا نضحك من السياسيين الأمريكيين الذين يسألوننا أحيانا : لماذا لا تحبون أمريكا ؟ لماذا لا تتبنون طريقتنا في الحياة وديمقراطيتنا الأمريكية ؟

ألم يصبح جليا بما فيه الكفاية أن السياسة الأمريكية أكبر سوق للنخاسة في العالم ؟!!

دمعة

ثوب الصبا

أَيَخْلَعُني ثَوْبُ الصِّبا وأضُمُّهُ ويَسْقُطُ وردٌ ذابلٌ وأَشُمُّهُ
فما أعجَبَ الأيَّامَ كيفَ تَقَلَّبَتْ وكيف غَزا القلبَ المُعَذَّبَ هَمُّهُ
وبِالأمسِ أبغضتُ الغُروبَ سويْعَةً فما حيلتي والعُمرُ يَغْرُبُ يومُهُ
وما أحَدٌ سورٌ عن الموتِ جِلْدُهُ ولا أحَدٌ حِصْنٌ مِن الموتِ عَظْمُهُ
وقد تَكْلَحُ الأيامُ حتى نرى الذي حَمَدْناهُ قَبْلَ اليومِ بِتْنا نَذُمُّهُ

بسمة

حياة رزقناها

لَعَمْرُكَ إنَّ المرءَ يَعْظُمُ وَهْمُهُ إذا غابَ عن عَيْنَيْهِ في الكونِ حَجْمُهُ
بِحَسْبِ امْرِئٍ أنْ لا يَبيتَ على الطَّوَى وأنَّ لهُ في الأرضِ بَيْتاً يَلُمُّهُ
حياةٌ رُزِقْناها كَما يُرْزَقُ الثَّرى سحابَ سماءٍ في الشتاءِ يَعُمُّهُ
وخيْرُ امْرِئٍ مَنْ يَغْلِبُ الدهرَ صَبْرُهُ ومَنْ يَتَجَلَّى في المُلِمَّاتِ حِلْمُهُ
ويَسْتَقْبلُ اليومَ الجديدَ بِمَوْقِفٍ جديدٍ ولا يَنْهارُ في الصَّعبِ عَزْمُهُ